كامب ديفيد .. وقراءة من التاريخ

محمد اسماعيل علي
دكتوراه في القانون الدولي

قبل اجتماع الكرادلة سرا في الفاتيكان لاختيار رمز السلام والمحبة في العالم المسيحي .. وحبسهم نفسهم داخل الاسوار لا يخرجون الا وقد اتفقوا على اختيار البابا الجديد ، اجتمع السادات وبيجين وكارتر في كامب ديفيد سرا وبعيدا عن عيون العالم واسماعه ، حتى خرجوا بعد ثلاثة عشر يوما يعلنون اتفاقهم على اسس تسوية الشاملة ، للمشكلة المزمنة في الشرق الاوسط..

ومن سيخرج التاريخ الحديث للصراع العربي الاسرائيلي يتمنى أن تمضي مصر قدما فيما بدأته من خطوات حتى تحت ما يسميه البعض بالحل المنفرد !! ولتغفر التاريخ .

نسبيا ان قطب المدابي والصحفي النمساوي ، « تيودور هرتزل » في نهاية القرن التاسع عشر اهتمام اليهود بمشروع « الدولة اليهودية » ، كان الايمان بها عميقا وقويا كحل جذري لمأساة اليهود في العالم .. تماما كما ان الايمان « بالدولة الفلسطينية » عميق وقوي كحل جذري لمأساة الفلسطينيين اصحاب الارض ..

وكان من الطبيعي أن تبدأ « الحركة الصهيونية » في محاولة تحقيق الامل والحلم .. فبدأت اتصالات « هرتزل » بكل اقطاب موازين القوى في ذلك العصر .. بتركيا .. وانجلترا .. وروسيا .. والمانيا ، لاقناعهم بأن انشاء الدولة اليهودية .. هو الحل الامثل لمشكلاتهم .. ولم تفلح جهوده في اقناع الاقطاب بالموافقة الصريحة على انشاء الدولة .. وان نجح في اقناع البعض منهم « بالصفة التاريخية » لليهود بفلسطين تارة ، و « بالحق التاريخي » لليهود فيها تارة اخرى ، تماما كما تتاجل الامة العربية لاقناع اقطاب العالم المعاصر بأحقية العرب في « الدولة الفلسطينية » فلا تجد الا اعترافا بتعبيرات مطاطة على نمط « مشكلة اللاجئين » ، و « حق العودة » و « حقوق الشعب الفلسطيني » !! فلا « دولة يهودية » في القرن التاسع عشر .. ولا دولة فلسطينية في القرن العشرين يمكن أن تنال الاعتراف الملائم .. لان أيا من الدولتين سيهدد انشاؤها — في نظر المتربصين — الامن والاستقرار للمقيمين بالاقليم .

بل وصل الامر بهرتزل الى القول بـ « انني لو جاهرت بضرورة انشاء الدولة اليهودية في مثل الظروف القائمة لوصفوني بالجنون .. ولكن في بال . وضعت حجر الاساس للدولة اليهودية .. وبالتأكيد ستخرج هذه الدولة للوجود بعد خمسين عاما » .. قال « هرتزل » هذا الكلام عام ١٨٩٧ .. وبعد خمسين سنة تماما « قامت الدولة اليهودية » !!

ماذا يعني هذا ؟

ان العمل الصهيوني قد تميز خلال الخمسين عاما المذكورة بالمرحلية المخططة التي تتصاعد تدريجيا لتحقيق الهدف المطلوب . وقد عبر هرتزل عن هذا الاسلوب بقوله « لابد من فترة انتقالية يكون الحاكم يهوديا .. وما ان تصل نسبة السكان اليهود الى الثلثين حتى تفرض الارادة اليهودية نفسها سياسيا » !!

كذلك عبر عن هذا الاسلوب « السياسي الصهيوني « سوكولوف » بقوله : « ان اليهود سيحصلون بالتدريج على ما يريدونه اكثر فأكثر » !!

وكانت بريطانيا تدرك بطبيعة الحال هذا التكتيك الصهيوني وتركيبه تهربا من المواجهة الصريحة مع العرب ، واخفاء لنواياها في مواجهة الاقطاب الاخرى حتى أن « بالفور » صرح بأنه « بالنسبة لمعنى الوطن القومي ، فاني افهمها على انها تعني شكلا من اشكال الحماية الانجليزية او الامريكية أو اي حماية اخرى يجري في كنفها وضع تسهيلات كاملة لليهود ، يستطيعون من خلالها انقاذ انفسهم وبناء مركز حقيقي للثقافة ومقر للحياة القومية عن طريق التعليم والزراعة والصناعة ولا يتضمن هذا بالضرورة ، انشاء دولة مستقلة في وقت مبكر لان ذلك أمر سيتم تدريجيا وفقا للتطور السياسي والطبيعي .. »

الدولة الفلسطينية

وفي وثائق « كامب ديفيد » لم يجد الاخوة الفلسطينيون مطمعا عليها الا خلوها من ذكر « الدولة الفلسطينية » على اساس ان « اطار السلام في الشرق الاوسط » لم يرد به ذكر « للدولة الفلسطينية » وانما ورد ذكر « الحكم الذاتي الكامل لسكان الضفة الغربية وغزة » وهي نتيجة اقل مما امل الفلسطينيون بالفعل . ولكن .. هل نعود مرة اخرى لقراءة التاريخ ! ..

رضي اليهود بانشاء وطن قومي ، مفهومه اقل ذاتية من مفهوم « الحكم الذاتي الكامل » وبداوا في جهودهم في بناء الدولة المأمولة ، بتأييد في الحركة الصهيونية ، تيار يجمع التأييد القانوني والسياسي من المجتمع الدولي ، وتيار يستوطن ويبني ويزرع ويخلق امرا واقعا مالبث بالعمل الدءوب المتواصل — دون تناحر او مناجزة — ان انبثقت منه دولة يهودية في وقت كانت فيه الظروف مهيأة لقيامها ..

وفي اثناء هذا « العمل الصهيوني » الدءوب المترفق انسابا على مبدأ التصاعد في الحركة ، اي الوثوب الى المرحلة التالية المناسبة ، في اطار تكتيك المرحلية ، كان العرب يرفضون كل مايقدم لهم من مشروعات لتعترف بالحق « الكامل » للفلسطينيين ..

رفضوا مشروعات تقسيم « الانتداب » و « وودهيد » و « ويزيمون » والتقسيم الاخير ، الذي قبلته اسرائيل ، كان الصهيونيون ينظرون الى الكوب الممتلىء نصفه بالماء على أن « فيه ماء » وكان العرب ينظرون الى ذات الكوب على انه « ليس ممتلئا » !!

وقفز الصهيونيون بهذه العقلية الواعية من حلم يراود الاخيلة في اوربا .. الى « مهجر » قاس في فلسطين .. الى « وطن قومي » .. الى « دولة صغيرة » بفرار من الامم المتحدة .. الى دولة كبيرة قوية تكاد تلتهم ما حولها من دول بالعمل المتواصل الدءوب مرحلة .. مرحلة .. !!

لم يرفضوا عرضا عرض عليهم ولم يتحاربوا او يتشاتموا .. بل مالوا علينا ميلة رجل واحد .. فبالينا نعي الدرس !!

ان مصر لم تضع يدها على الضفة الغربية او غزة بنية السيادة عليها .. ولا يمكن أن تدعي ذلك .. لان الضفة — بالقانون — تحت السيادة الاردنية القطاع — بالقانون — تحت «الادارة» المصرية ..

ومعنى ذلك أن « الاردن والفلسطينيين يستطيعون أن يمارسوا كل الوان النضال للتحرير ، او للحصول على اكثر مما حصلت مصر لهم عليه ..

عذاب مصر

ان عذاب مصر انها تتحمل فوق طاقتها ومسئولياتها .. عملا ، وجهدا .. ثم هجوما وتجريحا ..

فما هو البديل « للخيانة المصرية » !! الاقاليم المحتلة تحت مرمى المدفعية السورية .. وقاب قوسين او أدنى من الاردن .. وتحت اقدام الفلسطينيين ، فماذا يفعل هؤلاء « سياسيا » و « عسكريا » !!

اتساوس ومخاوير ابطال في سوريا والاردن والعراق .. واموال ضخمة في ليبيا . وتمويل جاهز للسلاح لاينضب من الاتحاد السوفيتي والسلام خلفكم والحرب امامكم .. فما هو الاختيار !!

لا اختيار ثالث بعد السلام او الحرب ولقد اخترنا نحن السلام بعد اربع حروب . واذا كان اختيار السلام حلا منفردا فيما هي جريمة مصر حتى لو اختارت الحل المنفرد !! هل هناك حل جماعي هربت منه مصر !!

ان مصر هي قلب الامة العربية ، ومن الطبيعي أن تكون « وحدة العمل العربي » هي الوسيلة المثلى لتحقيق الاماني العربية ، ولكن اذا كانت « الشخصانية » هي آفة الامة العربية

هل يشل العمل الفردي تماما حتى لو استهدف مصلحة الجميع !! ان مصر يجب أن تمضي في خطوات السلام بقوة الريادة والدءوبة والمثل وان تمضي بالتواجد على كل ما تستطيع أن تسترده او تأخذه من الحكومة الصهيونية لصالح الامة العربية .

صندوق الدنيا

بناة الاهرام

توقيع اتفاق كامب ديفيد .. خطب رئيس وزراء اسرائيل مناحم بيجين بقوة ، تحدث فيها عن السلام ، والصداقة ، والنوايا الحسنة ، مشاعر الطيبة .. وقد سمعت الخطبة ، وأعجبت بأسلوبه في ادائها .. واعتقدت ان مناحم بيجين كان يرتجلها ارتجالا .. وهذا سبب آخر لزيادة الاعجاب .. ولكنني فوجئت بوقوعه في خطأ تاريخي يرجع عمره لقرون عديدة ..

مناحم بيجين في اطرائه للرئيس الامريكي : « لقد عمل كارتر بشكل جيد من خلال معرفتي الخاصة بالتاريخ ، انه كان عملا شاقا اكثر من اسلافنا في مصر الذين بنوا الاهرامات » ..

من الحقائق التاريخية الثابتة ان الاهرامات بنيت في عصر الدولة الاولى الاسرة الرابعة « ٢٧٢٣ — ٢٥٦٣ » قبل الميلاد .. اما اسرائيل — أو يعقوب — فدخلوا مصر في عهد يوسف « ١٧٨٥ » قبل الميلاد .. اي دخلوا بعد بناء الاهرامات بما يقرب من الف سنة .. ثم بدأ اضطهادهم بعد وفاة يوسف بما يقرب من خمسمائة سنة « ١٢٣٣ » قبل الميلاد .. ثم انقذهم الله ، تعالى ، حين أرسل اليهم موسى وشق له البحر وأغرق فرعون وجنوده ..

وهناك خلاف بين العلماء على خروج بني اسرائيل من مصر .. يعتقد بعض العلماء انهم هم الهكسوس الذين خرجوا قبل قيام الاسرة الثامنة عشرة ..

ويعتقد علماء آخرون انهم خرجوا ايام الاسرة الثامنة عشرة .. فقد أشارت رسائل تل العمارنة الى قوم يعرفون ببدو الخابيرى .. ويرى هذا الفريق من العلماء ان الخابيرى ليسوا سوى قبائل العابيرى او هم العبرانيون بنو اسرائيل ويرى فريق من العلماء ان بني اسرائيل خرجوا من مصر في عصر رمسيس الثاني ومنبتاح .. اي ايام الاسرة التاسعة عشرة .. ويعتقد البعض في خروجهم ايام الاسرة العشرين « ١٢٠٠ — ١٠٨٥ » قبل الميلاد ..

نصر خلاف العلماء في خروج بني اسرائيل من مصر بين الاسرة الثامنة عشرة والاسرة العشرين .. ولكن دخولهم مصر جاء بعد بناء الاهرامات بألف سنة .. وهذا شيء متفق عليه ..

هل اشترك اسلاف صديقنا بيجين في بناء الاهرامات ؟ .. وما هي مراجعه في ذلك ... ؟

صحيح ان المخرج السينمائي سيسل دي ميل صور بناء الاسرائيليين للاهرامات في فيلم « الوصايا العشر » ولكن الناس لا ترجع لافلام السينما لتتحدث عن التاريخ .. ولا ترجع للاضافات الاسطورية التي لم ترد لها مرمى قاطعة في الكتب المقدسة او مراجع التاريخ المحترمة .

اسلاف بيجين تعبوا في مصر ؟ وشقوا شقاء رهيبا اكثر من شقاء الذين بنوا الاهرامات .. هذا صحيح .. وصحيح ايضا ان فرعون مصر عذبهم وكان ظالما يدعي الالوهية .. ولكن هذا كله تم بعد بناء الاهرامات بزمن طويل ، يقدره العلماء بالف وخمسمائة سنة .. وربما اختلف العلماء في ثلاثة سنة مثلا .. ويبقى بعد ذلك الف سنة لا خلاف عليها .. على اي حال .. يبدو ان الرئيس بيجين يحس نحو الاهرامات بشعور خاص نتيجة اعتقاده ان اسلافه هم بناتها .. الحمد لله ان الاهرامات ثابتة في الارض لا يمكن نقلها او تمتعها من مكانها باي حال من الاحوال .. □

أحمد بهجت